الدرس الأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد:

يقول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالى رحمة واسعة في كتابه «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » :

باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد:٣٠] .

****

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه المبارك «كتاب التوحيد» : ((**بابٌ من جحد شيئا من الأسماء والصفات**)) أي من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى وصفاته العليا .

ومعنى «جحد» : أي أنكر ونفى ولم يثبت . «شيئًا من الأسماء والصفات» : و«**شيئا**»جاءت نكرة في سياق الشرط فتفي العموم أي من جحد أي شيء من أسماء الله وصفاته ولو اسمًا واحدًا أو صفةً واحدة فما حكمه ؟.

وإيراد المصنف رحمه الله تعالى هذه الترجمة في كتاب التوحيد: لأن الإيمان بأسماء الله وصفاته ركن من أركان الإيمان بالله ، لأن الإيمان بالله سبحانه وتعالى يقوم على أركان ثلاثة :

١. إيمان بوحدانية الله جل وعلا في ربوبيته .
٢. وإيمان بوحدانية الله جل وعلا في أسمائه وصفاته.
٣. وإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى في ألوهيته .

ولهذا قال العلماء رحمهم الله تعالى : التوحيد ينقسم إلى أقسام ثلاثة : توحيد ربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الألوهية .

فتوحيد الأسماء والصفات هو قسمٌ من أقسام التوحيد وركن من أركان الإيمان بالله ، ومعنى ذلك أن من لم يؤمن بأسماء الله وصفاته لا يكون مؤمنًا بالله عز وجل ، لأن الإيمان بالله يقوم على هذه الأركان الثلاثة والتي منها الإيمان بأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته ، فالإيمان بالأسماء والصفات هو من الإيمان بالله جل وعلا ولا يكون مؤمنا بالله جل وعلا من كان منكرًا لأسماء الرب تبارك وتعالى أو منكرا لصفاته جل وعلا .

بل إن الواجب تعظيمُ أسماء الله وصفاته ومعرفة مكانتها وأنها بوابة الإيمان والهداية والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ؛ فإن العبد كلما كان أعرف بالله وبأسمائه وصفاته كلما كان ذلك أعظم في خشيته لله كما قيل «من كان

بالله أعرف كان منه أخوف ، ولعبادته أطلب ، وعن معصيته أبعد» ، وقد صح في الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ)) ؛ وهذا يفيدنا أن معرفة الأسماء الحسنى وما تتضمنه من الصفات العليا لله تبارك وتعالى من موجبات دخول الجنة والنجاة من النار ، ومن موجبات محبة الله سبحانه وتعالى لعبده وإدخاله له الجنة ، ولعلنا جميعا نذكر قصة الصحابي الجليل وهي في صحيح البخاري الذي أمَّره النبي صلى الله عليه وسلم على سرية فكان يقرأ بهم في كل ركعة بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فأشكل ذلك على من معه من الصحابة فلما رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذكروا له خبره قال : ((سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟)) فَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ: «لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا» ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ)) وفي الحديث الآخر قال : ((حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ)) .

ولهذا باب الأسماء والصفات باب شريف عظيم من أبواب العلم ينبغي على المسلم أن يُقبِل عليه بمحبة وصدق ورغبة قوية في أن يعرف أسماء ربه تبارك وتعالى الحسنى وأن يعرف صفاته جل وعلا العليا؛ ليزداد إيمانًا ، ليزداد يقينًا، ليزداد تصديقًا ، ليزداد إقبالًا على الله تبارك وتعالى ، ليزداد أيضا بُعدًا عن المعاصي والذنوب ؛ فكم لهذه المعرفة –معرفة أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته– من الأثر العظيم في سلوك العبد؛ استقامةً وزكاةً وصلاحًا وملازمةً لعبادة الله تبارك وتعالى وبُعدًا عما نهى الله سبحانه وتعالى عنه وحرمه على عباده .

فهذا بابٌ شريف من أبواب العلم وبابٌ رفيعٌ جدًا وله مكانته العظيمة ، وهو كما تقدم ركن من أركان الإيمان بالله، فلا يكون مؤمنا بالله سبحانه وتعالى من كان جاحدًا لشيء من أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته ؛ فلما كان ذلك بهذه المكانة والمنزلة العلية عقد المصنف رحمه الله تعالى هذه الترجمة لبيان أهمية هذا العلم علم توحيد الأسماء والصفات وشرف هذا العلم وأهمية العناية به ، وفي الوقت نفسه خطورة الإنكار لشيء من أسماء الله تبارك وتعالى أو شيء من صفاته جل وعلا .

ومما ينبغي أن يُعلم في هذا المقام : أن الخطأ في أسماء الله وصفاته ليس كالخطأ في أي أمر آخر ، لأن الخطأ في أسماء الله تبارك وتعالى بالغٌ في الخطورة مبلغًا عظيما ، وللتوضيح أضرب مثالين فيهما فائدة عظيمة جدًا .

وأقدِّم لهذين المثالين بمقدمة ألا وهي : أن باب الأسماء والصفات يقوم على ركنين اثنين وهما : الإثبات بلا تمثيل ، والتنزيه بلا تعطيل ؛ على هذا يقوم توحيد الأسماء والصفات أن تثبت لله تبارك وتعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وأن تنفي ما نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص ومما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه ، على حد قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ، قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذا النفي ، وقوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هذا الإثبات . فتوحيد الأسماء والصفات قائم على النفي والإثبات . والخطأ في هذا الباب إما أن يكون بإثبات ما نفاه الله أو بنفي ما أثبته ، لا

يخرج عن هذين ؛ الخطأ في باب الأسماء والصفات إما أن يكون بإثبات ما نفاه الله أو بنفي ما أثبته الله سبحانه وتعالى ، وكل من الخطأين في غاية الخطورة .

والآن إلى المثالين من القرآن في بيان خطورة الغلط في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته سواءً بنفي ما أثبت أو بإثبات ما نفى :

- أما الأول وهو إثبات ما نفاه الله : فما نزه الله تبارك وتعالى نفسه عنه الولد في آيات كثيرة جدًا ؛ منها سورة الإخلاص التي أُخلصت لبيان صفة الرحمن ، ومرت معنا قصة الصحابي رضي الله عنه في قراءته لهذه السورة وحبه العظيم لها وفوزه بتلك الكرامة العظيمة دخول الجنة ، قال: ((حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ)) ، فهذه السورة العظيمة فيها قول الله سبحانه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)﴾ نزه نفسه عن الولد ، فمن أثبت هذا الذي نفاه الله ، من أثبت لله ولد والله جل وعلا نزه نفسه عنه ؛انظروا خطورة إثباته لما نفاه الله في قول الله جل وعلا في سورة مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨)﴾ ماذا قال الله ؟﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)﴾ «إِدًّا» كلمة قوية في التعبير عن خطورة الأمر الذي وقع فيه هؤلاء ، وفي المعنى نفسه معنى «إِدًّا» ألفاظ كثيرة جدا لكن جاءت هذه اللفظة في قوتها دلالةً على خطورة هذا الأمر الذي ارتكبه هؤلاء ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)﴾ يقول ذلك رب العالمين عندما قالوا﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨)﴾ ، قال ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)﴾ أي بالغًا في الجرم والخطورة المبلغ العظيم الكبير ؛ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)﴾ . فالغلط في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته أمر ليس بالهيّن ، انظر سماوات وأرض وجبال كلها تتصدع وتندك ويحصل لها ما يحصل من عظم هذا الجرم وكِبر هذا الإثم . هؤلاء أثبتوا ما نفاه الله سبحانه وتعالى فترتب عليه ما ترتب مما ذكره الله سبحانه وتعالى في هذا السياق المبارك .
- أيضا النوع الآخر: وهو نفي ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه من الأسماء والصفات ؛ أيضا في غاية الخطورة ، حتى لو لم ينفِ الصفة كاملة نفى بعض المعاني المتعلقة بالصفة أيضا في غاية الخطورة ، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٢] هذا ما هو ؟ ما نوع الغلط هنا ؟ نفي ما أثبته الله ، الله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه العلم المحيط ، العلم الذي وسع كل شيء ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧] علمه وسع كل شيء ، فقال هؤلاء هذا القول الآثم واعتقدوا هذه العقيدة الباطلة، قال جل وعلا: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ؛هل هؤلاء نفوا الصفة من

أصلها ؟ أو أنهم أثبتوا الصفة من حيث هي لكنهم أنكروا سعة علم الله وأن الله سبحانه وتعالى -تعالى عما يقولون- قد يعزب عنه كثير من أعمال العباد وتخفى عليه ؟ مع أنهم يثبتون ، ظاهر الآية يدل على أنهم يثبتون أصل الصفة لكنهم نفوا سعة علم الله ، ماذا ترتب على هذا الإنكار ؟ ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ أي أهلككم وأوقعكم في غاية الهلاك ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت:٢٢-٢٤] .

فانظر كيف ترتب على الغلط في أسماء الله سبحانه وتعالى ما يترتب من العواقب الوخيمة والمآلات الخطيرة على الإنسان في دنياه وأخراه ؛ ولهذا يجب على العبد أن يتقي الله سبحانه وتعالى وأن يعظِّم هذا العلم -علم الأسماء والصفات- وأن يحذر غاية الحذر من الغلط في هذا الباب ، لا أن ينفي شيئا أثبته الله، ولا أن يثبت شيئًا نفاه الله.

سبحان الله!! ونحن نتأمل هذا الأمر وخطورته نأسف لحال بعض الناس ممن دخل عليهم بعض الدواخل بسبب علم الكلام الباطل وعلم الفلسفة البغيض المشين ؛ فأصبح بعض الناس سبحان الله تجد عنده شيء من الجرأة في الانتقاد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ، وتجد بعضهم لا يتورع ولا يخاف! تُذكر له الآية الكريمة التي فيها صفة لله سبحانه وتعالى فتجده بملء فيه يقول: "كيف هذا ؟ وهذا ما يمكن ، ولو أثبتنا هذا للزم كذا ولزم كذا" إلى آخر ذلك من الفلسفات والكلاميات التي ما أنزل الله تبارك وتعالى بها من سلطان .

الصحابة رضي الله عنهم سمعوا هذه الآيات آيات الصفات وسمعوا أحاديث الصفات فآمنوا بها وأمرُّوها كما جاءت ولم يتعرضوا لها بكيفٍ أو اعتراضٍ أو انتقاد كما فعل هؤلاء . الإمام مالك رحمه الله وتعرفون القصة عندما دخل عليه رجل قال يا أبا عبد الله ؛ الله يقول ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥] كيف استوى ؟ هذا سؤال خطير جدًا ، الإيمان بالله التعظيم لله جل وعلا الخوف من الله سبحانه وتعالى ما يتجرأ معه الإنسان أن يخوض في أسماء الله أو صفاته بمثل هذه السؤالات المبتدعة ، قال كيف استوى؟ قال الراوي : «فغضب مالك رحمه الله تعالى حتى علاه الرّحضاء» تصبب عرق ، العادة نحن نتصبب عرقًا إذا أُخذ شيء من دنيانا ؛ فتصبب عرقًا رحمه الله تعالى عندما تعدى هذا المتعدي على صفات الله بهذا السؤال كيف استوى؟ علاه الرحضاء ، ثم قال رحمه الله كلمته المشهورة : «الاستواء معلوم» يعني معناه واضح بيّن ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ : علا وارتفع استواءً يليق بجلاله سبحانه وتعالى ، «الاستواء معلوم» يعني معناه واضح . «والكيف مجهول» لماذا مجهول؟ لأن الله سبحانه أخبرنا أنه استوى ولم يخبرنا كيف استوى ، فنثبت الذي أخبرنا الله به ونسكت عن الذي لم يخبرنا به . قال «والإيمان به -أي الاستواء- واجب» لأنه ثابت في القرآن والسنة ، «والسؤال عنه -أي عن كيفية

الاستواء- بدعة ، وما أراك إلا رجل سوء أخرجوه عني» غضب رحمه الله ؛كيف يُسأل عن صفات الله تبارك وتعالى بهذا السؤال . والعلماء رحمهم الله قالوا هذه الكلمة العظيمة للإمام مالك رحمه الله هي بمثابة القاعدة التي تطبّق في جميع الصفات، أي صفة يسأل عنها سائل بكيف نقول له الصفات معلومة أي معانيها معلومة ، وكيفياتها مجهولة، والإيمان بالصفات واجب ، والسؤال عن كيفياتها بدعة .

فأقول مع خطورة هذا الأمر تجد في بعض الناس من عندهم جرأة ، لما يُذكر حيث النزول ((ينزل ربنا)) هذا الحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقرب من ثلاثين صحابيا ، ذكرهم بأسمائهم واحدًا واحدا ورواياتهم الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الصواعق المرسلة وبلغ عدَّة من ذكرهم ثمان وعشرين صحابيا كلهم روى هذا الحديث وهو حديث متواتر عند أهل العلم ، وكل هؤلاء الصحابة الذين بلغ عددهم هذا المبلغ كلهم سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ((ينزل ربنا إلى سماء الدنيا)) آمنوا به كما جاء وأمرُّوه كما ورد ولم ينتقدوا ، الآن تجد بعض الناس يقول عندما يأتي هذا الحديث يقول كيف ؟ ويبدأ يورد أشياء عقلية . الصحابة رضي الله عنهم كانوا أذكى منك وأفهم ولم يسألوا ، وعندما كفّوا عن السؤال كفوا عن بصيرة نافذة وعلِموا أن مثل هذه الأسئلة مما لا خير فيها ، ولهذا كف عنها الصحابة عن بصيرة وإيمان ، عن بصيرة نافذة كفوا ، ولهذا يجب علينا أن يسعنا ما وسع الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ، وأن نعظم أسماء ربنا تبارك وتعالى وصفاته جل في علاه ،وأن نثبتها له عز وجل كما أثبتها لنفسه وكما أثبتها له رسوله عليه الصلاة والسلام .

هذا المعنى المتقدم يعينك عليه إعانة عظيمة جدًا أن تستذكر أمورًا ثلاثة مهمة جدا في هذا الباب :

- الأمر الأول: أنه لا أحد أعلم بالله من الله ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠] ، لا أحد أعلم بالله من الله .
- الأمر الثاني : لا أحد أعلم بالله من خلق الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل ((إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا)) فهو أعلم خلق الله بالله صلوات الله وسلامه عليه .
- الأمر الثالث: الله سبحانه وتعالى بالنسبة لنا غيبٌ لم نره ؛ إذاً ليس ثمة سبيل للخوض في هذا الأمر والكلام فيه إلا من خلال الوحي؛ كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام المبلّغ عن الله ؛ فإذا جاءت الآيات وجاءت الأحاديث مهمتنا الإيمان والتسليم ،ليس الاعتراض والانتقاد، مثل ما قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى : «من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم» ، بعض الناس لم يقف على قدم التسليم! وإذا جاءت الآيات بدأ يقول لم وكيف ولماذا وينتقد ويعترض وربما أيضا يرد ويجحد !!.

فالمصنف رحمه الله اهتمامًا منه بهذا العلم العظيم المبارك عقد هذه الترجمة لبيان خطورة جحد _أي إنكار_ شيء من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، وكما قدمت قوله ((من جحد شيئا)) ؛ «شيئا» جاءت نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم؛ أي ولو اسمًا واحدًا ولو صفة واحدة فالأمر في غاية الخطورة .

قال رحمه الله: ((**وقول الله تعالى ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾** [الرعد:٣٠])) ؛ قوله جل وعلا ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ ذكَر جل وعلا في هذا السياق إنكار المشركين لهذا الاسم من أسماء الله سبحانه وتعالى الذي هو «الرحمن» ، واصفًا لهم بالكفر في سياق ذِكر إنكارهم لهذا الاسم ، قال﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ يعني أخبر عن جحدهم لهذا الاسم بالكفر ﴿ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ لأنهم جحدوا هذا الاسم . والقصة معروفة ؛ في صلح الحديبية لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن يكتب الصلح الذي كان بينهم قال ((اكتب بسم الله الرحمن الرحيم)) ، قال سهيل ابن عمرو موفد المشركين في عقد هذا الصلح : «لا؛ لا نعرف الرحمن؛ اكتب باسمك اللهم» . ثم إن سهيل فيما بعد أسلم ، منَّ الله عليه بالإسلام .

قال: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ فنفيهم لهذا الاسم عدّه رب العالمين جل وعلا كفرًا بالرحمن ؛ فهذا يفيدنا أن جحد اسم واحد من أسماء الله أو صفة واحدة من صفات الله الثابتة في كتابه والثابتة في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم يعد كفرًا بالرحمن سبحانه وتعالى .

قال وقول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي ﴾ قل : أي «الرحمن» الذي له هذا الاسم وهذا الاسم من الأسماء المختصة بالله ، لأن بعض أسماء الله مشتركة ، أما هذا الاسم فهو من الأسماء المختصة بالله لا يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى ، وهو دالٌ على ثبوت الرحمة صفة لله وقيامها به وأنها صفة لا تنفك عن الله سبحانه وتعالى ، ملازمة لذاته لا تنفك عن ذاته ، وهي بهذا الاعتبار صفة الرحمة صفة ذاتية ، وباعتبار تعلقها بالمرحوم ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٣] هي من صفات الأفعال .

فقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ فيه إثبات هذا الاسم وفيه إثبات الصفة صفة الرحمة ، والله سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يقول على إثر ذلك ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ أي الرحمن الذي له هذا الاسم العظيم الموصوف بالرحمة التي وسعت كل شيء هو ربي ؛ أي هو خالقي ، هو موجدي ، هو المِلك لهذا الكون لا شريك له ﴿ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وتأمل هذه الآية الكريمة جمعت أنواع التوحيد الثلاثة : ﴿ بِالرَّحْمَنِ ﴾ في الأسماء والصفات ، ﴿ رَبِّي ﴾ الربوبية ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ توحيد الألوهية ؛ جمعت أنواع التوحيد الثلاثة هذه الآية الكريمة .

﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ أي اعتماد قلبي وتفويضي في أموري كلها عليه ، ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ أي أوبتي ورجوعي وإنابتي إليه سبحانه وتعالى وحده جل في علاه .

قال رحمه الله

وفي صحيح البخاري : قال علي رضي الله عنه : «حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله؟!» .

****

ثم أور رحمه الله تعالى هذا الأثر العظيم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الراشد أنه قال: ((**حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!**)) وهذا هو التعليل ، تعليل قوله «حدثوا الناس بما يعرفون» أي تعليل ذلك قوله «أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم» . يوضح لنا هذا المعنى ما ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه أنه قال : «ما أنت بمحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنةً لهم» أو كما جاء عنه رضي الله عنه وأرضاه .

وهذا فيه أهمية التدرج مع المتعلمين في العلم والتعليم ، والبدء معهم بكبار العلم وأصول العلم وجوامع العلم قبل التفاصيل ودقائق العلم التي قد تُشكل على الإنسان في بدايات الأمور ؛ فيُبدأ معه بالأصول العامة والقواعد الجامعة وأسس الدين العظام ويُتدرج معه في ذلك ، لكن إن حُدِّث بحديث لا يبلغه فهمه ، مثل ما قال علي «حدثوا الناس بما يعرفون» يعني إن حُدِّث بحديث لا يبلغه فهمه لأنه مازال في أوليات التعلم وأوليات التحصيل والفهم ، فربما حُدِّث بحديث كان له فتنة . فهذا فيه أهمية التدرج مع المتلقي والمتعلم في هذا الباب .

ولا يعني ذلك أن أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من هذا القبيل ، بل يُعلَّم الناس أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته، لكن إن كان في هذا الباب شيء من الدقائق أو التفاصيل الدقيقة ما لا يبلغه فهم هذا المبتدئ والمتلقي فإنه لا يُعلَّم ولا يُذكر له في بدايات الأمور حتى لا يكون فتنةً له . فهذا معنى قوله رضي الله عنه «حدثوا الناس بما يعرفون» ؛ وهذا فيه أن من مهمات المعلِّم التدرج في التعليم ، ويكون التدرج بالبدء بالأصول الكبار وأسس الدين العظيمة وقواعده الجامعة ثم يُتدرج معه بعد ذلك ؛ الأهم ثم المهم ثم الأقل أهمية وهكذا .

قال : ((**حدثوا الناس بما يعرفون**)) المراد بقوله «بما يعرفون»: أي بما تبلغه أفهامهم . والتعليل لذلك : ((**أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله**)) لأنه إذا حُدث بحديثٍ قد لا يبلغه فهمه ربما يقع في الإنكار والتكذيب لله أو للرسول الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

مناسبته للباب أشرت إليها : ذكرت ليس المراد أن الأسماء والصفات من هذا القبيل ، لكن قد يكون في بعض الدقائق –دقائق هذا العلم وتفاصيله– ولاسيما أيضا باب المناقشات والردود وأشياء من هذا القبيل قد يكون من هذه الأمور ما لا يبلغه فهم المتعلم ، قد يكون فتنة له ، يعني الآن لو لأن شخصًا جاء إلى بعض المبتدئين أو حديثي عهد مثلًا بإسلام أو قليلي العلم ثم دخل معهم في بعض الدقائق في هذا العلم ودخل أيضا في مناقشات

وردود وأقوال المخالفين وما يقولونه من شبهات وما يرد عليهم به من ردود ونحو ذلك ربما يكون هذا فتنة له، ويصبح أمر الدين عندهم من الأمور المعضلات ، بينما ينبغي أن يُتدرج به ويأخذ الدين بالهوينة متدرجًا في مسائله بحسب حاجته من ضروريات الدين وجوامعه العظيمة .

قال رحمه الله تعالى :

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس : أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارًا لذلك ، فقال : «ما فرَق هؤلاء ؟ يجدون رقةً عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه ؟!» انتهى .

****

قال ((**وروى عبد الرزاق**)) عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله تعالى صاحب المصنف ، وهذا الخبر رواه في كتابه التفسير ، يعني عادةً يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق عندما يقال رواه عبد الرزاق أي في المصنف ، لكن هذا الخبر موجود في كتابه التفسير .

قال: ((**وروى عبد الرزاق عن معمر**)) ابن راشد شيخ الصنعاني رحمه الله تعالى ((**عن ابن طاووس**)) الذي هو عبد الله بن طاووس ((**عن أبيه**)) طاووس بن كيسان ((**عن ابن عباس**)) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ((**أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارًا لذلك**)) ؛ هذا الرجل من ظاهر هذه الرواية التي بين أيدينا أن هذا الحديث أول مرة يسمعه، فكان بالنسبة له غريب ، وليس غريب مستنكر ولهذا حصل له رعدة ، (انتفض) كما جاء في الرواية هنا ، انتفض: يعني جسمه ارتعد ، وهذا الارتعاد أو انتفاض الجسم كان استنكارًا لذلك ، مثل ما هو معبَّر هنا قال ((استنكارا لذلك)) أي: استنكارا لما جاء في هذا الخبر الذي هو من أحاديث الصفات ، والمراد بأحاديث الصفات: أي صفات الله سبحانه وتعالى .

هذا الذي حصل لهذا الرجل قد يحصل أيضًا لغيره ولاسيما من ابتلوا بشيء من علم الكلام ودخلت عليهم شيء من شبهاته ، فإذا سمع بعض الأحاديث التي يسمعها لأول مرة وتتنافى مع تلك القواعد التي أخذها من علم الكلام ينتفض ويرتعد وينكر ويصرّح بعضهم أيضا بالإنكار ، وبعضهم يصرّح بجحد الحديث يقول "هذا الحديث أنا لا أقبله" ، بعضهم إلى هذه الدرجة يصرح بجحد الحديث وعدم قبوله ، يكون من الأحاديث المجمع على صحته بل يكون من الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويتجرأ بعضهم بردِّه وعدم قبوله لماذا ؟ لأنه يتصادم مع قاعدته الكلامية التي نشأ عليها .

فهذا الرجل بحضرة ابن عباس رضي الله عنهما لما سمع حديث من أحاديث الصفات والحديث رواه ابن عباس ، ولعل هذا مما يفيدنا في فهم ما يتعلق بكلام علي ابن أبي طالب ؛ ليس معنى كلام علي ابن أبي طالب أنَّا ما نبين

للناس صفات الله ، فها هو ابن عباس يبين الصفات ويورد أحاديث الصفات ، ومن يحصل عنده استنكار يعالج الخطأ الذي فيه ، ويبقى هذا العلم علمًا نعتني به .

والله سبحانه وتعالى في القرآن أمرنا أن نتعلم هذا العلم ، آيات كثيرة في القرآن مبدوءة بـ ﴿اعْلَمُوا﴾ أو في أثناء الآية ﴿اعْلَمُوا﴾ أو ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ ثم يُذكر شيء من صفات الله أو أسمائه سبحانه وتعالى ، آيات كثيرة جدًا في القرآن تقرب من الثلاثين آية ، وهذه الآيات كلها دليل على أهمية تعلم أسماء الله وصفاته ،﴿اعْلَمُوا﴾ أو ﴿لِتَعْلَمُوا﴾مثل قوله جل وعلا: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢] لها نظائر كثيرة جدًا في القرآن الكريم ، فالله أمرنا أن نتعلم هذا العلم وحضَّنا على ذلك في آيات كثيرة في القرآن الكريم ؛ فنتعلمه ونعلِّمه ونتدارسه ، وكلما ازادت معرفتنا بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ازاد تعظيمنا له وازداد حبنا له وازداد إقبالنا على طاعته ، والله جل وعلا يقول ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨] أي بالله سبحانه وتعالى .

فهذا الرجل حصل له هذا الارتعاد والانتقاض استنكارًا لما سمعه مما يتعلق بالصفات ، فماذا قال ابن عباس ؟ ((**قال : ما فرَق هؤلاء ؟**)) الفرَق: هو الخوف ، ما فرَق هؤلاء ؟ ما خوف هؤلاء ؟ على ماذا هذا الخوف ؟ لأي شيء يكون هذا الخوف؟ ما فرق هؤلاء؟ و«ما» هنا للاستفهام الانكاري ؛ ينكر عليه ، هذا خوف وفرَق في غير محله ، لماذا هذا الخوف؟ يستنكر !كيف يكون هذا الخوف الذي هو خوف استنكار عند سماعه لصفات الله؟ لماذا هذا الخوف! وهي صفة ثابتة في القرآن أو ثابتة في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ لا تنكِر الحديث وإنما أنكر نفسك ، إذا ثمة إشكال فالإشكال فيك أنت ، إذا ثمة خلل الخلل فيك أنت ، لا تستنكر كلام الله ولا تستنكر كلام رسوله عليه الصلاة والسلام فيما يخبر به عن ربه سبحانه وتعالى ، الخلل فيك أنت ، إذا كان عندك استنكار فهذا راجع إلى خلل فيك . يقول ((**ما فرَق هؤلاء؟**)) والاستفهام هنا انكاري : أي علام يخاف هؤلاء؟ مستنكرا هذا الخوف الذي جاء في غير محله .

وضُبطت الكلمة ضبطًا آخر ((**ما فرَّق هؤلاء**)) بفتح الفاء وتشيد الراء ، وتكون «ما» هنا ليست استفهامية وإنما نافية ، ما فرّق هؤلاء: أي لم يفرق هؤلاء ، ما عندهم تفرقة . والتفرقة التي يشير إليها حسب هذا الضبط للرواية التفرقة الذي هو علم يفرِّق به الإنسان بين الحق والباطل ، الهدى والضلال ، عندما يكون مثلا شخص يُذكر له شيء صحيح ثابت وينكره يحدُث عنده استنكار هل عنده فرقان؟ أو مثلًا يُنفى عنده شيء فيثبته وهو منفي أصلا في الكتاب والسنة هل عنده فرقان؟ ليس عنه . فيقول ((ما فرَّق هؤلاء)) يعني هذا الإنكار مبني على عدم علم بالتفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال ، سبب ذلك أنه ما عنده تفرقة . والمراد بـ ((ما فرَّق هؤلاء))

أي ليس عنده فرقان يفرق به بين الحق والباطل ، لو كان عنده فرقان ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩] أي علمًا وبصيرة تفرقون به بين الحق والباطل .

ولهذا كلمة ابن عباس حسب هذه الرواية نستفيد منها: أن أي شخص ينكر شيء من أسماء الله وصفاته أو ينكر أي شيء من الأشياء الثابتة في الكتاب والسنة؛ فإنكاره مبني على أنه ليس عنده فرقان ، لو كان عنده فرقان بين الحق والباطل لم يكن عنه هذا النفي .

وهذا أيضا نستفيد منه فائدة أخرى : أهمية العلم الشرعي ؛ لأن العلم الشرعي هو وحده الذي يفرَّق به بين الحق والباطل ، يفرَّق به بين الهدى والضلال ، يماز به بين الخبيث والطيب .

قال : ((**ما فرَق هؤلاء** -أو حسب الرواية الأخرى ما فرَّق هؤلاء- **يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه ؟**)) ؛ هذا كلام لابد أن يُفهم ؛ «يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه» هذا فيه إشارة من هذا الإمام الراسخ في العلم رضي الله عنه وأرضاه إلى ما دلت عليه الآية الكريمة في سورة آل عمران ؛ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧] ؛ هذا الإمام ابن عباس رضي الله عنهما جاء عنه أنه قال : «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله» ، فالقرآن منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، ومعنى ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أي هن الأصول وعليهن المعوَّل وجميع ما يتشابه عليك في القرآن رُدَّه إلى هذه الآيات المحكمات . وآيات أخر في القرآن متشابهات .

لابد أن نفهم هنا المراد بالإحكام والمراد بالتشابه ؛ المراد بالإحكام: ظهور المعنى؛ ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ أي واضحة المعنى ، ظاهرة ، بينة ، ليس في معناها أي إشكال ، وآيات أخرى من القرآن متشابهات: أي في معانيها بعض الخفاء ولا يزول هذا الخفاء إلا للراسخين في العلم مثل ما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ أي المتشابه ، الضمير في قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ أي المتشابه ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ ؛ هذا على قراءة الوصل.

أما على قراءة الفصل فإن المراد بالتشابه ليس هذا ، ليس المراد بالتشابه خفاء المعنى ، وإنما المراد بالتشابه : الحقيقة والكيفية ؛ فيجب الوقف هنا ؛ ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ؛ إذا كان المراد بالتشابه أي الحقيقة والكيفية والكنه ، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ .

أما إذا أريد بالتشابه أي خفاء المعنى؛ فليس في القرآن معاني تخفى على جميع الأمة ، لم يخاطبنا الله سبحانه وتعالى بكلام لا يُفهم إطلاقًا ، بل في القرآن آيات لا يفهمها إلا أهل الرسوخ ، فهي متشابهة ويراد بالتشابه هنا ليس التشابه المطلق ، وإنما المراد بالتشابه هنا التشابه النسبي ، ليس المراد بالتشابه التشابه المطلق بحيث لا تُفهم مطلقًا لا يوجد في القرآن آيات لا تفهم إطلاقًا ، الله خاطبنا بكلام عربي مبين ، لكن في القرآن آيات متشابهات أي معناها خفي خفاء نسبي ، ما معنى خفاء نسبي؟ أي بعض الناس يفهمونها وبعض الناس لا يفهمها ، الذي يفهمها أهل الرسوخ في العلم مثل ابن عباس قال «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله» ؛ فهذا هو المعنى.

فابن عباس رضي الله عنه يقول هنا : ((**يجدون رقة عند محكمه**)) المراد بالمحكم هنا : أي الواضح ، واضح المعنى يجدون رقة ؛ تخشع قلوبهم تلين ، تُقبل نفوسهم عن محكمه .

((**ويهلكون عند متشابهه**)) أي ما يشتبه عليهم ، حتى فيما يتعلق بالأسماء والصفات قد يشتبه على إنسانٍ ما لقلة علمه ، فهذا الاشتباه ليس معناه أن علم الأسماء والصفات من علم المتشابه، لا ، لكن قد يكون بعض المعاني أو بعض الدقائق المتعلقة ببعض الأسماء والصفات تشتبه على بعض الناس وهذا من الاشتباه النسبي؛ مثل ما حصل لهذا الرجل ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ((يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه)) .

قف هنا عند قوله ((**يهلكون**)) في هلاك هنا ، ما نوع الهلاك؟ ما هو هذا الهلاك الذي يحصل؟ الرد ، عدم الإيمان، التردد في الإثبات ، الشك في إثبات ذلك ، التردد فيه ، يرتعد استنكارا ؛ هذا هلاك. مر معنا نظير ذلك في الآية قال: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ [فصلت:٢٣] يعني أهلككم ، فابن عباس قال ((يهلكون عن متشابهه)) . إذًا ثمة هلاك هنا ، موطن هلاك ، أناس يهلكون ؛ تأتيهم آيات من آيات الصفات أو أحاديث من أحاديث الصفات فتستنكرها قلوبهم ، تردها قلوبهم ، لا تقبلها نفوسهم ، هذا الرد وهذا الاستنكار وهذا عدم القبول لهذه الصفات ما هو بما بيَّنه ابن عباس رضي الله عنهما ؟ هذا الهلاك قال ((**يهلكون عند متشابهه**)) .

إذا كان ابن عباس رضي الله عنهما قال هذه الكلمة في مثل هذا الموقف ولم توجد بعد مدارس علم الكلام ، مدارس علم الكلام ما وجدت بعد في زمانه ، مدارس علم الكلام تحتها رُدت أسماء كثيرة لله وصفات كثيرة لله سبحانه وتعالى ، أصبح من يتلقى هذا العلم بكل سهولة يقول : هذا ما أثبته ، وهذا عقلي ما يقبله ، وهذا لا يمكن أن أثبته ، وهذا ولو ثبت في الحديث أنا ما أقبله .. إلى آخر ذلك ؛ يهلكون . إذا كان هذا قبل أن يوجد هذا العلم ؛ حصل عند الرجل شيء من الرعدة ارتعد لأنه استغرب بسبب قلة علمه ، فكيف بمن أصلًا عنده قواعد كلامية تصادم هذه الآيات وتصادم هذه الأحاديث !! كم قع فيه أولئك من الهلاك بسبب علم الكلام .

فنستفيد من كلمة ابن عباس هذه رضي الله عنه هذه خطورة علم الكلام الذي ترتب عليه إنكار لكثير من أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ، ولا أريد أن أثقل على مسامعكم ببعض النقول المستهجنة الغريبة السيئة البالغة في

السوء مبلغًا عظيما في إنكار أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ممن تربَّوا على هذه المدارس ؛ مدارس الفلسفة ومدارس علم الكلام والمنطق وغير ذلك ، وكيف أن هذه العلوم ولَّدت فيهم جرأة عجيبة جدًا في رد أسماء الله سبحانه وتعالى وردِّ صفاته فوقعوا في حضيض الهلاك ، كما قال رضي الله عنه: ((يهلكون عند متشابهه)).

قال رحمه الله تعالى :

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن ، أنكروا ذلك ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد:٣٠] .

****

قال رحمه الله: ((**ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن**)) أي يذكر هذا الاسم من أسماء الله ((**أنكروا ذلك**)) ؛ قوله رحمه الله «أنكروا ذلك» الإشارة إلى ماذا ؟ إلى الاسم نفسه ، أنكروا ذلك: أي أنكروا الاسم ؛ لم ينكروا وجود الله، لم ينكروا أنه هو الرب الخالق لم ينكروا ذلك ، لأنهم إن سئلوا من خلقكم؟ من خلق السماوات؟ من خلق الأرض؟ من خلق الجبال؟ يقولون الله ، يؤمنون ، لكن إنكارهم في هذا الموضع إنكار لهذا الاسم تحديدًا ، مثل ما مر معنا في قصة سهيل في كتابة الصلح قال : «لا نعرف الرحمن ، هذا الاسم لا نعرفه» ؛ فامتنع من قبول كتابة «بسم الله الرحمن الرحيم» قال لا نعرف هذا الاسم .

فيقول رحمه الله : ((**ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن**)) أي يذكر هذا الاسم لله ((**أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾**)) ؛ أيضًا نزل بسبب الموضوع نفسه قول الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[الإسراء:١١٠] ، عندما تقول "يا الله ، يا رب، يا رحمن" هذه كلها أسماء لله ﴿ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف:١٨٠] ، وقال في سورة الحشر في آخرها في سياق مبارك ذكر الله سبحانه وتعالى فيه سبعة عشر اسمًا من أسمائه الحسنى قال: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ له الأسماء الحسنى ، هذه كلها أسماء لله ، ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)) ؛ فـ«الرحمن» اسم من أسماء الله العظيمة .

فهؤلاء لما سمعوا هذا الاسم استنكروا وجحدوا هذا الاسم تحديدًا ، وذكر بعض أهل العلم أن جحدهم هذا الاسم كان على وجه العناد ، ولهذا يوجد في بعض أشعارهم في الجاهلية إثبات هذا الاسم ، مثل قول أحدهم «ألا قبض الرحمن ربي يمينها» فيه ذكر هذا الاسم ، ويأتي في أشعارهم ويأتي في منثور كلامهم .

فقيل إن هذا الانكار كان على وجه الجحود والعناد ، عنادًا قالوا «لا نعرف الرحمن ، اكتب باسمك اللهم لا تكتب الرحمن» ، ولهذا ابن جرير في كتابه التفسير قال بهذا الحرف : «زعم بعضُ أهل الغَباء أنّ قريشا أو الجاهلية كانت لا تعرف "الرحمن" » ، معروف الاسم عندهم وموجود في أشعارهم وذكر بعض أشعارهم الموجود فيه هذا الاسم ، قال «زعم بعضُ أهل الغَباء أنّ قريشا أو الجاهلية كانت لا تعرف "الرحمن" » الاسم معروف عندهم وموجود ، لكن قيل إن ذلك على وجه العناد والمكابرة قالوا لا ما نعرف الرحمن ، وفي رواية فيها كلام قالوا : "لا نعرف إلا رحمن اليمامة" أي مسيلمة الكذاب ، قالوا ذلك على وجه العناد .

يقول: ((**ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾**)) ؛ الشاهد أن الله سمى إنكارهم لهذا الاسم وجحدهم له كفرًا قال: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد:٣٠] .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل ؛ الأولى : عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

أي إذا حصل من الإنسان جحد لشيء من أسماء الله الحسنى أو صفاته العليا ولو شيء قليل ولو اسمًا واحدًا فهذا يترتب عليه عدم الإيمان ، يعني انتفاء الإيمان لأن الله عز وجل سمى جحد المشركين لاسمه الرحمن كفرًا قال: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾[الرعد:٣٠] .

الثانية : تفسير آية الرعد .

وهي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) ﴾ ؛ تقدم تفسيرها .

الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع .

ليس المراد بترك التحديث يعني تركه مطلقًا وإلغاؤه مطلقا ، وإنما المراد التدرج بالسامع ، ترك التحديث: يعني ترك تحديثه الآن في هذه الفترة التي لم يبلغ علمه ، فيكون تحديثه بما لم يبلغه علمه في مرحلة لاحقة ، ليس المراد بترك التحديث أي إلغاء هذا الأمر مطلقًا ، وإنما يراعى فيه التدرج مع المتعلم في تلقي العلم ، فإذا كان ثمة أمر لا يبلغه فهمه ربما يترتب عليه فتنة لا يحدَّث به كمرحلة أولية ويؤجل إلى مرحلة لاحقة حتى يتسع علمه ويتسع فهمه حتى يفهم هذا الأمر دون أن يكون له فيه فتنة .

الرابعة : ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكِر .

ذكر العلة أي في ترك التحديث بما لا يفهمه السامع أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ، مثل ما قال علي رضي الله عنه : «أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله» ولو لم يتعمد المنكِر ؛ قد لا يكون المنكِر متعمد ؛ يعني قليل العلم ، لكن المشكلة ليس في قليل العلم ، المشكلة في المتلوث بعلم الكلام ، هذا مصيبته مصيبة ، الشخص قليل العلم الخطب معه هين؛ يُتدرج معه ، لكن المتلوث بعلم الكلام علم الكلام عبث في مخه عبثًا كبيرًا وشوش عليه عقله تشويشا كبيرا فأضرَّ به إضرارًا عظيما ، ولهذا قلت عند بعضهم جرأة سافرة جدًا في رد كلام الله أو رد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أحيانًا بألفاظ ما تظن أن مسلم يجرؤ أن يقول مثل هذا الكلام في كلام الله أو كلام رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك ، وأنه أهلكه .

قال «كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك» أي من صفات الله في قصة الرجل التي مرت معنا ، وأنه رضي الله عنه قال: «ما فرَق هؤلاء» في رواية «ما فرَّق هؤلاء» ، وانظر تنصيص المصنف على «وأنه أهلكه» أي أن الغلط في هذا الباب باب الأسماء والصفات ليس كالغلط في أي اسم آخر ، لأنه باب هلكة وأمر خطير جدًا ولهذا يجب على العبد أن يتقي الله وأن يحرص على تعلم أسماء الله وصفاته على جادة أهل السنة ، جادة أهل السنة جادة مباركة ، جادة الصحابة ومن اتبعهم بإحسان هذه جادة مباركة قائمة على الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل ، على حد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .